

# دروس في اصول الفقه

(الدرس الخمسون)

## استعمال اللفظ في أكثر من معنى

(الجزء الثاني)

قد عرفت أنّ جماعة من المحققين - كالمحقق الخراساني و  
النائيني و الاصفهاني - ذهبوا إلى امتناع استعمال اللفظ المشترك  
في أكثر من معنى واحد من وجهة نظر العقل. و قد عرفت أيضا ما  
أورد عليهم من الملاحظات.  
أما العلماء القائلون بالجواز عقلا، فقد اختلفوا في جواز ذلك من  
جهة الوضع.

### نظرية المحقق القمي

ذهب صاحب القوانين إلى أنّ الواضع، و إن لم يضع اللفظ للمعنى  
بقيد الوحدة أو بشرطها، لكنّه وضعه عليه في حال كونه واحداً. و  
على هذا لا يجوز استعمال المفرد في غير حال الانفراد لا حقيقة  
ولا مجازاً. أمّا الأوّل، فواضح. وأمّا الثاني، فلأنّه لم تثبت الرخصة في  
هذا النوع من الاستعمال.

### الردّ عليه

و ردّ عليه - كما في المحصول - بأنه لم يشترط الواضع عدم وجود  
معنى آخر معه حتى يكون هناك مانع قانوني، والمفروض  
أنّ المستعمل فيه نفس الموضوع في كلتا الحالتين، و كون المعنى

واجداً لتلك الحالة في زمان الوضع، لا يكون دليلاً على كونها دخيلة في الموضوع له.

### **الاعتراض على هذا الردّ و الجواب عنها**

و اعترض على هذا الردّ بأنّ الضيق الذاتي للموضوع له يقتضي وضعه للمعنى الواحد ، فلا يجوز الاستعمال في أكثر منه.

و اجيب عنه بأنّ الضيق الذاتي إنّما يكون مانعاً، إذا لم يكن هناك وضع آخر لمعنى ثان. و ليس استعمال اللفظ في أكثر من معنى لأجل وضع واحد، بل لأجل وضعين، و ذلك كاف في الاستعمال.

### **نظريّة صاحب المعالم**

ذهب صاحب المعالم إلى أنّ استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد ، مجاز في المفرد و حقيقة في التثنية و الجمع ، لأنّ استعمال المفرد في الأكثر يوجب سقوط قيد الوحدة المأخوذ في الموضوع له، فيكون مجازاً، و يصير من قبيل استعمال اللفظ الموضوع للكل في الجزء. وأمّا التثنية و الجمع فالاستعمال فيهما حقيقة لأنّهما بمنزلة تكرير اللفظ، فكأنّك نطقت بلفظين أو أكثر ، و استعمل كلّ واحد في معنى من المعاني.

### **الاعتراض عليه**

اعتراض عليه بعض الأعلام ، و منهم المحقق البروجردي ، حيث يقول :

و ما ذكره بعض كصاحب " المعالم " من التفصيل بين المفرد ، و جوازه فيه مجازاً بتوهم أنّ اللفظ موضوع بازاء المعنى مع قيد الوحدة، فإذا استعمل في الاكثر يلغى قيد الوحدة و يستعمل اللفظ

الموضوع للكلمة في الجزء ، و بين التثنية و الجمع في جوازه فيهما حقيقة ، بتوهم أنهما في قوة تكرار المفرد الذي يراد من كل واحد معنى الذي يراد من الآخر ؛ مدفوع بشقيه ، و ذلك لان المفرد لم يوضع إلا بأزاء نفس المعنى، و الوحدة خارجة ، مضافا إلى أنه مع تسليمه ليس استعماله في الاكثر بجائز أصلا و لو بنحو المجاز ، لان المستعمل فيه ، و هو الاكثر ، يبين المعنى الموضوع له مباينة الشيء المشروط بشرط الشيء ، و هو المعنى الموضوع له بقيد الوحدة ، و الشيء المشروط بشرط لا ، و هو الاكثر.

و التثنية و الجمع ، و إن كانا في قوة التكرار ، إلا أن الظاهر أن اللفظ فيهما كأنه كرر و أريد من كل لفظ فرد من أفراد معناه ، لا أنه أريد منه معنى من معانيه.

ثم قال : هذا على ما أفاده المصنف قدس سره ، و لكن على ما أفاده السيد الاستاذ ، لم يرد ما أورده قدس سره على صاحب "المعالم" من عدم جواز مثل هذا الاستعمال باعتبار المباينة المذكورة ، و ذلك لان إلغاء قيد الوحدة في الاستعمال لم يبين اعتبارها في الموضوع له ، و لفظ التثنية و الجمع ليسا موضوعين بمجموع موادهما و هيئتهما لاثنتين و الثلاث ، حتى يقال : إنهما في قوة التكرار ، بل يكون موادهما موضوعا للمعنى المفرد ، و هيئتهما تدل على إرادة أكثر مما يراد من لفظ المفرد ، فالتثنية و الجمع يدلان على إرادة المعنيين أو الاكثر ، لا فردين أو الاكثر من معنى واحد. فافهم.

و بالجملة جعل التثنية و الجمع في قوة تكرار لفظ المفرد صحيح ، للفرق بينهما و بين لفظ مفردهما في مقام التكرار بحسب المفاد و المعنى ، فان مفاد التثنية هو مفهوم الإثنية بالحمل الاولي ، و المراد بها الإثنية المتعلقة بمفاد مادة اللفظ المفرد ، و مفاد اللفظ المكرر من المفرد هو ليس الا نفس المعنى ، لكنه لما كان مفاده باعتبار تكرره و استعمال كل واحد في معنى التكرار في المعنى و تعدده ، يحمل عليه الإثنية بالحمل الشايع ، لا أن عنوان الإثنية

مأخوذ في اللفظ المكرر من المفرد ، بخلاف التثنية ، فإن العنوان المذكور مأخوذ فيها كما لا يخفى.

## البحث عن الوقوع

إذا ثبت إمكان استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد من وجهة نظر العقل ، و جواز ذلك من ناحية الوضع ، يأتي دور البحث عن وقوعه فعلاً.

فذهب بعض المحققين إلى وقوعه ، و استدّلوا على ذلك بوجوه.

**منها** : وقوعه في كلمات الأدياء - كما أشار إليه في وقاية الأذهان - :

يقول الشاعر في مدح النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -:

المُرْتَمِي فِي الدَّجَى وَالْمُبْتَلَى يَعْمَى وَ الْمُشْتَكِي ظَمًا وَ الْمِبْتَغِي دَبْنًا  
يَأْتُونَ سَدَّتَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ نِعْمَانِهِ عَيْنًا  
فاستعمل الشاعر لفظ «العين» في الشمس و البصر و الماء الجاري والذهب ، حيث إنّ المرتمي (المرمي) في الدجى، يتطلب الضياء، و المبتلى بالعمى «يتطلب العين الباصرة، والإنسان الظمان يريد الماء، و المستدين يطلب الذهب.

وهناك شاعر آخر يشتكى طول ليلته و أنّه لا فجر لها، كما يشتكى الدماميل في بدنه، لا تفتح حتى يخرج قيحها، فيطلق كلمة الفجر على فجر الصبح، و انفتاح الدماميل و يقول:

«ما ليلي و ما لها فجر»

والضمير في «لها» يعود إلى الدماميل المذكور قبل هذا.

وهناك شاعر ثالث ملقّب بسراج الدين، يمدح صديقيه الملقّبين بـ «شمس الدين» و «بدر الدين» و يرى نفسه ضئيلاً دونهما، كما أنّ السراج ضئيل دون الشمس و القمر، فيطلق الشمس والقمر و السراج و يريد من الأولين النيّرين تارة، و صديقيه أخرى، كما يريد

من السراج المصباح تارة، و نفسه - الملقب بسراج الدين - أخرى، و يقول:

و لَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ وَ البَدْرَ مَعًا      قَدْ انجَلَتْ دُونَهُمَا الدِّيَاحِي  
حَقَّرْتُ نَفْسِي وَ مَضَيْتُ هَارِبًا      وَ قَلْتُ مَاذَا مَوْضِعُ السَّرَاحِ

ولو أريد أحد المعنيين، لذهب رونق الشعر و سقط عن مقامه.  
و يقول شاعر رابع :

أَيَّ المَكَانِ تَرُومُ مِنَ الذِّي      نَمْضِي لَهُ فَأَجْبَتَهُ المَعْشُوقَا

فقد أراد من المعشوق ، المعنى الاشتقاقي أولاً، و المكان المسمى به بقرينة «أَيَّ المكان».

**و منها :** الاستدلال بالروايات التي تدلّ على أنّ للقرآن تنزيلاً و تأويلاً و ظاهراً و باطناً ، كما روى في بحار الأنوار ، باب أنّ للقرآن ظهراً و بطناً عن القمي بسنده الصحيح عن الإمام أبي جعفر - عليه السّلام -:  
انّ رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - أفضل الراسخين في العلم فقد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يُعلّمه التأويل، وأوصياؤه من بعده يعلمون كلّه.  
و ما رواه في نفس الباب عن البرقي عن أبي جعفر - عليه السّلام -  
أنّه قال لجابر بن يزيد الجعفي: يا جابر إنّ للقرآن بطناً و للبطن بطن و له ظهر و للظهر ظهر، يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ؛ إنّ الآية يكون أولها في شيء و آخرها في شيء و هو كلام متّصل منصرف على وجوه.

### الاعتراض عليه

و اعترض عليه المحقق البروجردي مستدلاً على ذلك بعدم دلالة تلك الاخبار على تعدد معاني ألفاظه ، بل المقصود منها أن لمعاني ألفاظ القرآن مراتب تستفاد منه حسب مراتب الإدراكات و العقول ، مثلاً لفظ الشمس لا يفهم منه عقل العاقل العامي الا الجرم المرئي

في السماء ، و لكن العقول العالية المتصرفة تتصرف في معناه  
فتأخذ بالصورة أعني الحيثية النورية بإلغاء المادة ، وهذا أيضا يتفاوت  
بتفاوت مراتب العقول.

و يمكن أن يكون المقصود منها ما يستفاد من الحروف المقطعات و  
غيرها من المركبات ، لكن لا من حيث تركيبها ، بل ذواتها ، و العلم  
بها مخزون عند أهل البيت عليهم السلام.

\*\*\*\*\*